إبليس الذي لا نعرفه
قصة قصيرة
قصة قصيرة
للأمين أحمد
أحمد عبدالمنعم دياب

إسم الكتاب/ إبليس الذي لا نعرفه
إسم المؤلف/أحمد عبدالمنعم عبدالوهاب دياب
تصميم الغلاف/أحمد عبدالمنعم دياب
رقم الإيداع في مجلة الأمير أحمد/١٩٨٦٨ـ ٢٠٢٤
انتاج/ مجلة الأمير أحمد
تاريخ الإنتاج/٥-٦-٢٠٢٤

كافة الحقوق محفوظة للناشر

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء
بأي طريقة بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة
أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية
أو غير إلكترونية دون إذن كتابي من الناشر

إبليس الذي لا نعرفه

قصة قصيرة

لـ أحمد عبد المنعم دياب

جلست على إحدى الدكك الأسمنتية داخل الممشى السياحي في شرم الشيخ وكان على مقربة مني شابان يتجادلان ويتناقشان بصوت عالٍ أرغمني على الإستماع لحديثهما دون التدخل، وكنت صراحة مستمتع بحديثهما الذي كان لا يرسى على موضوع واحد أكثر من عدة دقائق حتى ينتقلا لموضوع آخر دون أن يدريا بهذا، وظللت مستمع لهما ومنصتا إنصاتاً دقيقاً إلى أن سأل أحدهما سؤلاً وهو: ماذا لو ظهر لنا إبليس وتحدثنا معه وجادلناه في كل الأحداث التي جعلته يخرج عن طوع ربه!؟ هذا السؤال دخل سمعي بطريقة جعلته يسرقني من حديثهما، بل ومن الواقع بأكمله، وظللت أردده في نفسي: ماذا يحدث فعلا إن جادلنا إبليس؟ ولكن كيف سنجادله؟ ومتى؟ ونحن لا نستطيع التواصل معه، وفجأة حضرت لي فكرة وهي أن أتقمص شخصية إبليس وأحاول الإجابة على كل الأسئلة التي أريد أن أسألها له.

عُدت إلى محل سكني وجلست على مكتبي الذي تحتاج ترابيزته لكسرة سراميك تحت إحدى أرجلها لتنضبط ولا تميل، وأحضرت ورقة بيضاء وقلم ووضعت خط يقسم الورقة نصفين بالطول، نصف سيكون فيه سؤال، والنصف الآخر سأتقمص فيه شخصية إبليس وأضع إجابة، ثم بدأت أسأل وأتقمص شخصية إبليس وأُجيب حتى ملأت الورقة، وبدأ النوم يُهاجمني وأنا أقاومه إلى أن سألت سؤال: هل أنت مؤمن بالله؟ ولم أضع إجابة لأن النوم قد غلبني، فوضعت رأسي فوق ذراعاي المتشابكين على ترابيزة المكتب ونمت ماشاء الله لي أن أنام، ثم اهتززت بالترابيزة ومالت إحدى أرجلها فوقع القلم على الأرض بين قدمي، فرأيت يد ترتدي ساعة فخمة للغاية وكأنها قطعة أثرية نادرة، وخاتم من ذهب مُطعم بالأحجار الكريمة، وإسورة قميص أبيض بها عدة أزرار أظنهم من الياقوت الأحمر، وكُم بدلة سوداء.

إلتقطت هذه اليد القلم من بين قدمي ووضعته على الترابيزة، فرفعت رأسي فوجدت رجل في قمة الأناقة والفخامة والهيبة، ولكن وجهه لا يرسل الطمأنينة، يرتدي بدلة سوداء وقميص أبيض وكرفتة لا أستطيع تحديد لونها لكنها متناسقة تماماً مع البدلة والقميص، وشعر أسود مسرح للوراء، فتعجبت من وجوده لأنني مغلق الباب إغلاق محكم، وقلت له: من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا!؟

قال: منذ ساعة وأنا أنتظرك لكي أُجاوب على آخر سؤال، لكنك أطلت في النوم!

قلت: معقول أنت إبليس!!؟

بدأ قلبي يدق بشكل أسرع والخوف بدأ يحتلني وظهر هذا على وجهي.

فقال: لا تخف لم آتي هنا لأضرك بل أتيت لأناقشك.

لم تُهدئنِ كلماته وحاولت قراءة القرآن، ولكنني كلما أردت النطق أحس أن لساني مربوط وثقيل جدا لا ينطق.

توجه إلى زجاجة المياه وأتى بكوب وملأه لي ماء وقال: هدئ من روعك، لن أضرك، فكما ترى أنا أتيتك بهيئة إنسان لكي لا تخف، ومع أني أهم ملك من ملوك الجن والإنس إلا أنني

أظهرت لك نفسي وأخفيت عليك بقية حرسي.
قلت: وهل أتى معك حرس؟
قال: نعم، أكثر وأقوى مما تتوقع.
قلت: هل تُريني حرسك؟
قال: عدني أولاً أن لا تكن خائف مني.
بدأت أتنفس بانتظام عدة مرات ثم شربت كوب من الماء وهدأت من نفسي ثم قلت: أعدك أن لا أكون خائف منك.
قال: إذا افتح الباب لترى.
ففتحت الباب بخوف وحذر، ولكن لم أجد شيئا! فقلت: لا أرى أحدا.
فاقترب مني برفق، وعلى غفلة شد شعرة من رمش عيني الشمال، فنظرت إليه بغضب وقلت: لقد أوجعتني! لماذا فعلت هذا وأنت تحاول أن تُطمئنني؟
قال: انظر مرة أخرى.
فنظرت فإذا بمشهد يقطع الأنفاس، مشهد رهيب غريب، كائنات لم أر مثلها، ودود عملاق رشيق بأرجله الصغيرة والكثيرة يركبه مخلوقات عجيبة الخلقة يرتدون زي واحد، ويركبون أيضا حيوانات وطيور مفترسة لها أصوات مرعبة، والجميع منتشر انتشار منظّم فوق الأبنية وفي الطرقات، وفيهم من كان يُحلّق في السماء ويحملون أسلحة عجيبة لا أعرف نوع الذخائر التي تطلقها، وكأنني أجلس مع أهم ملك خلقه الله عز وجل.
وبالقرب من الباب مجموعة متشكلين في صور الإنس يُشبهون البعثة الدبلوماسية في تنظيمهم وأناقة لبسهم الرسمي، وكانوا ينظرون لي وهم يبتسمون، فأغلقت الباب ورجع الخوف يحتلني مرة أخرى، فقال: تذكر وعدك بألا تخف.
حاولت تهدأت نفسي وجلست أشرب ماء وأنتظم في التنفس حتى هدأت قليلاً، وهو جلس على كرسي أمامي وفك الزرار الذي هو في منتصف جاكت البدلة لكي يستريح في مقعده.

هدّأت من نفسي ثم عاودت النظر إليه وهو جالس أمامي على بُعد متر من ترابيزة مكتبي ومادد قدمه على ترابيزة صغيرة بيضاء، ومسند ظهره في ظهر الكرسي في غرور وكبر منقطع النظير، فلأول مرة في حياتي أر الغرور بقدمين، قلت له بعد ما رأيت منه هذا التكبر الذي لم يأتِ به: لماذا كل هذا الحرس؟ أتخشى من الإنس؟
ضحك بصوت عال وقال: الإنس أضعف من أن أخاف منهم.
قلت: إذا مما تخف؟
قال: ممالك من الجن أسلموا وأصبحوا أعداء لي ويظنون أنهم بمحاربتي هم يجاهدون في سبيل الله.
قلت: كيف تخف منهم وقد وعدك الله بالحياة إلى يوم القيامة ألست مؤمن؟!
قال: أنا لا أخش الموت، بل أخشى الأذى، نعم قد وهبني الله الحياة إلى يوم القيامة، ولكن

من الممكن أن أتأذّى.
قلت: لم تُجب على سؤالي، ألست مؤمن بالله؟
قال: لا يوجد أحد على وجه الأرض أشد إيمانا مني، بل أنا أكثر إيمانا من بعض الملائكة.
قلت: فماذا حدث لكي تتمرد وتخرج عن طوع ربك؟
قال: عدم التقدير!
قلت: عدم التقدير! عدم التقدير مِن مَن؟
قال: من ربي! أرأيت إن كان لديك عاملين أحدهما أقدم، خدمك كثيرا، وأخلص لك زمن طويلا، فأيهما تُقدر؟
قلت: العامل القديم.
قال: أنا عبدت الله زمن طويل وقد خلقني من نار ومع ذلك أمرني بالسجود لمخلوق جديد خلقه من طين.
قلت: المثل الذي ضربته لا يليق بالله سبحانه وتعالى، بل يليق برئيس عمل أو بسيد وخادمه، أما أنت فقد ضربت المثل لله وهذا تجاوز كبير، أنا وأنت وكل المخلوقات صنعة الله يفعل بهم ما يشاء، يُميت ويحيي، يقدم ويؤخر، يرفع ويخفض، هذا خلقه يفعل فيهم ما يشاء.
قال: أنت تبرر لله أفعاله.
قلت: حاشى لله، أنا لا أبرر، لكن حساباتك خاطئة وغير عادلة.
قال: هل لي من سؤال؟
قلت: نعم، تفضل.
قال: لماذا لم ينجي الله والدتك مع أنك دعوته كثيرا؟
ابتسمت وقلت: أنت تنتقل بحديثك معي من الإيمان للتشكيك لكـ.....
قاطعني وقال: لا لا لا لم أشكك هذا مجرد سؤال.
قلت: إن الله خلقنا في هذه الدنيا ونحن نتفاعل معها، نفرح ونحزن، نمرض ونشفى، نتخاصم ونتصالح، وخلق لنا كل أسباب النجاة من المصائب مع اختلاف أنواعها وخلق لن عقل يبتكر لنا أسباب النجاة، وإن أرهقنا أمر لجأنا إليه ودعوناه، وله الحرية في أن يستجيب أو لا، فنحن لن نحاسبه.
قال: لا زلت تبرر أفعاله!
قلت: لا أبرر وهو لا يحتاج إلـ.....
قاطعني مرة أخرى ورفع ظهره عن ظهر الكرسي واعتدل في جلوسه وبدأ التوتر يظهر على حركات جسده وملامح وجهه وقال بصوت قريب من المرتفع: ألم يكتب الله المرض على أمك وشاهدها تتألم ومع كثرة دعائكم وبكائكم لم يستجيب وتركها تتعذب بألمها.
قلت: لم يكـ.....
قاطعني وقال: لا تنكر، هذه حقيقة.

صمتُ مندهشاً من تقلباته المزاجية السريعة، وازدادت أكثر علامات التوتر في تصرفاته وكلامه حتى أنه بدأ يتكلم بشكل أسرع بكلام متقطع مختلط بين لغتين إحداهما العربية حتى أنني أشفقت عليه من ما وصلت إليه حالته، وبدأت ملامح وجههُ تتغير، وشممت رائحة شياط! سألته عنها فيما بعد قال: نحن إذا غضبنا تخرج منا هذه الرائحة.

عاد الصمت مرة أخرى وبدأ في الهدوء وقال: لم ترد على حديثي.
قلت: لن أرد، ولن أُكمل الحديث معك إلا بشروط!
قال: ما هي؟
قلت: أن تعطيني فرصة للحديث ولا تقاطعني.
قال: لم أُقاطعك.
قلت وملامح وجهي يملأها التعجب من نكرانه مقاطعتي: بل قاطعتني، وأنت أتيت هنا لتناقشني وما فائدة النقاش وأنت تقاطعني؟ هل أتيت لتتناقش مع نفسك؟
ضحك وقال: لن أقاطعك مرة أخرى.
بدأ الهدوء يعود ومعه الإستقرار النفسي إلينا، وبعد صمت استمر لدقائق قال: أريد أن أعزمك على شيء، ماذا تريد أن تأكل أو أن تشرب؟
قلت: أنت ضيفي، وهذا واجبي اتجاهك.
قال: لا يوجد عندك شيء يصلح لي، يجب أن تطلب شيء وسأحضره لك مهما كان.
قلت: أي شيء؟
قال: نعم.
فكرت قليلا ثم قلت: سلطة فواكه بعسل النحل وجوز الهند.
بعد ما أنهيت كلامي بثواني سمعت طرق على الباب، فقال لي: افتح الباب، قد جاء ما طلبت.
قلت وأنا أقم من على مكتبي: بهذه السرعة!؟.
فتحت الباب فدخلت امرأة شابة شديدة الجمال وجهاً وجسداً، ترتدي قميص أبيض وجيبة سوداء قصيرة جدا، ووجهها يبتسم لي ابتسامة الذي يعرفني، تحمل صينية فضية مذهبة فوقها ثمرة كبيرة من جوز الهند مقطوع أعلاها تُشبه الإناء ووضعتها أمامي على المكتب، ثم خرجت وهي تنظر لي بنفس الابتسامة، وأنا أحاول أن أتذكرها وكأنني أعرفها من قبل.

رددتُ الباب دون إغلاقه وجلستُ على مكتبي وهممت بأكل سلطة الفواكه فوجدتها فوق ما كنت أتمنا بكثير، قد اتخذوا من ثمرة جوز الهند إناء وملؤها بقطع فواكه صغيرة وكبيرة، فواكه منها ما أجهله ومنها ما أعرفه غارقة في ماء جوز الهند وعسل النحل ويعلوها قطع شمع العسل، شيء بصراحة خيالي، وعلى الصينية شفاطة، وشوكة، ومعلقة، ومناديل مبللة، هذه الوجبة الخيالية أنستني وجود إبليس وحرسه والخارج والداخل، وظللت أأكل

فيها وأستمتع بلذاذتها وهو في قمة الضحك والسعادة وكان لطيف جدا معي، وأظن أن لطفه هذا ليس نابع من فطرته، لكنه عن قصد، لطيف لحاجة في نفسه الله وحده الأعلم بها.

انتهيت من الأكل بعد ما أنهيت السلطة تماماً وشربت مائها، ثم قلت له: ها أنا جاهز لنكمل جدالنا.
ضحك، وأثناء ضحكه دخلت المرأة الجميلة بنفس الإبتسامة ورفعت الصينية من على مكتبي وأنا أحدق النظر بها في مُحاولة تذكر يائسة، قلت: نعود لحديثنا، ذكرني أين وقفنا؟
قال: كنت أتساءل ألم يكتب الله المرض على والدتك وشاهدها تتألم ومع كثرة دعائكم وبكائكم لم يستجيب وتركها تتعذب بألمها.
قلت: لم يكتب الله على أمي المرض أبدا، لا عليها ولا على غيرها، حاشا لله، هذا سوء ظن بالله، بل نحن وكما قلت نتفاعل مع الحياة ومن الطبيعي أن نمرض، وأما استجابة الدعاء فهو يستجيب بطريقته كما أخبرنا رسول الله إما أن يُعجّلها لنا في الدنيا أو يرفع عنا بها بلاء، أو يؤخرها لنا في الآخرة، كما يريد وكما يشاء لا يُسأل عما يفعل.
قال: أنت تجهل الدين الإسلامي، ألم يذكر رسولكم في أحاديثه وفي قرآنكم أن كل شيء مكتوب عليكم؟
قلت: أنت من تجهل فهم الدين الإسلامي، أولا لن أتحدث بأحاديث الرسول صل الله عليه وسلم لأن فيها الضعيف وفيها القوي وأنا لست عالم بها، وأما لفظ الكتابة في القرآن فذُكر للتشريع وليس للتسيير، فمثلا ذُكر في آية الصيام للتشريع والتقنين وكذلك في حد القصاص..... حاولت قراءة آية من سورة التوبة لكنني لم أستطع فاستأنفت كلامي قائلا: لماذا تربط لساني عند قراءة القرآن؟
قال: اقرأ ما شئت ولكن لا تقترب من سورة البقرة.
قلت: حسنا، فمثلا الآية التي في سورة التوبة التي أظن أنك تقصدها قال الله تعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) فأسباب نزول هذه الآية حسب ما ذكر الإمام الطبري هو أن رسول الله أراد أن يجمع جيشا لغزوة ما لا أذكرها الآن.....
قاطعني وقال: غزوة تابوك.
قلت متعجبا: حسنا. وأكملت ما كنت أقول: فلما أراد رسول الله أن يجمع الجيش لهذه الغزوة كان المنافقين يحثون المسلمين على عدم الخروج معه، فنزلت هذه الآية في مجمل آيات أخرى(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) والمقصود والله وحده أعلم بمراده لن يصيبنا إلا ما شرّع الله لنا في الجهاد من شهادة للمقتول وتقسيم للغنائم وخلافه، فإن انتصرنا فنصر وغنيمة، وإن انهزمنا فشهادة وجنة، والآية التي تليها تفسرها وتُظهر قصد الله منها، وحتى إن كان كما تفهم فمعناه أنه مكتوب في علم الله بعلم الله لما سيحدث في المستقبل، لم يُرغمنا الله على فعله ولم يُسيّرنا الله لفعله، وعلى هذا المبدأ لم يكتب الله الشر على أحد من خلقه أبداً، ويجب علينا أن نعمل بالأسباب التي خلقها الله لنا ولا نستسلم للواقع السيئ بحجة أنه

مكتوب، ولا ننشغل بالغيب، لأنه علم الله، ولا يحق لأحد أن يكون متحدث باسم الله ويقول أنه كتب على هذا المرض وكتب على هذا الفقر، حاشا لله.
قال: يا ليت في رجالي واحد مثلك يبرر لي كل ما أفعل.
قلت وقد مال وجهي للغضب: والله لا أبرر، بل هذه حقيقة أنت أكثر من يعرفها، لكنك تُعاند وتُكابر.
رد بجملة وكأنه ينتقم بها مني ووجهه يمتزج بالغضب والمكر: ماذا ستفعل إن اكتشفت أن كل ما تؤمن به كذب؟
قلت: حديثك فيه شيء من التلاعب النفسي.
قال بغضب وعتاب: أنت تُسيء الظن بي دائما، مع أنه لم يظهر مني لك إلا الوجه الجميل، أجب على سؤالي دون اتهامات.
قلت: إن كان كذب فلن أخسر شيء فالإيمان بالله ليس حقيبة ثقيلة أحملها على ظهري بل هو يقين داخل قلبي، وأما الأعمال التي أمرني بها إيماني فهي أعمال نبيلة لن أندم يوم عليها.
ظهر عليه علامات الإقناع المخرسة التي لا تدري بعدها ماذا تقول، وأثناء ما هو على هذا الحال دخل عليه أحد رفقائه الواقفين بالباب المتشكلين في صورة الإنس ومال عليه وتحدث معه بلغة لا أفهمها، وبعد ما انصرف مرافقه قال: من الواضح أن هجوم سيحدث عليّ بعد نصف ساعة.
قلت: وكيف علمت؟
قال: من أجهزة مخابراتي.
قلت: وهل لك جهاز مخابرات؟!
قال: نعم، أنا لست كما تظن، أنا مؤسسة كبيرة فيها من القوة والجاهزية مالا يخطر ببالك.
قلت: وهل تستخدمها ضد الإنس؟
قال: القوة العسكرية!؟ بالطبع لا، فأنا ومن هم على شاكلتي لا نستطيع السيطرة على القوة المادية المحسوسة في هذا الكون، وإلاّ كنا دخلنا معكم في حروب كثيرة وصراعات على الكوكب، لكنني أحارب المؤمنين بطرق كثيرة.
قلت: بالوسوسة والحض على فعل المعصية؟
ضحك بصوت عال وقال: هذه سذاجة أن تظن أنني أفعل هذا فقط، أنا أفسد إيمانكم بخطط لا يتوقعها أحد.
قلت: كيف؟
قال: منها صناعة بعض رجال الدين على مر التاريخ، أصنع له أحلام جميلة منذ صغره فيظن أنه متواصل مع الله فيحدث له حالة صوفية روحانية كاذبة من صنعي، ثم أوجهُ لدراسة الدين ليتفقه فيه وأنا أدعمه بالأحلام الجميلة، وأوسوس له بكلمات يحصل بها على شهرة واسعة بين الناس، وأدس سمي من خلاله لهم فيلقنهم عقيدة فاسدة ليست من الإسلام

في شيء.
قلت: صدق الله عندما قال عنك عدو مبين.
قال: نعم أنا لكم عدو مبين، لكن صدقني يوجد من شياطين الإنس من هم ألعن مني بكثير، أنا أقصى ما أستطيع فعله هو أن أدعوكم أو أن أوسوس لكم، أو أن أخدعكم، ومهما بلغ كيدي فهو ضعيف لأنه يفتقد للقوة المادية، ولو كل الرجال التي صنعتها وأفسدت بهم عقيدة الكثيرين فكروا بعقولهم ولو لدقيقة واحدة لعلموا أن ما يفعلونه من خرفات ليست من عند الله وليست من الإسلام في شيء، لكنه أتى على هوى نفوسهم الفاسدة فاستمروا فيها.
قلت: أنا مقتنع جدا بكلامك، ولكن هل من الممكن أن تذكر لي إسم واحد من الرجال التي صنعتها؟
قال: نعم بالطبع مع أنه سر من أسراري، ولكن .....
دخل علينا بشكل مفاجئ العديد من رفقائه وأعتقد أنهم طلبوه بالخروج حالا
فقال لي وهو يُسرع في الخروج: من الواضح أن الهجوم الذي أخبرتك عنه قد بدأ.
قمت وقفت وحاولت أن أعرف منه إسم واحد فقط من رجاله الذي صنعهم، وحاولت الوقوف أمامه ليخبرني فدفعني أحد رفقائه بقوة فارتطمت رأسي في الحيطة فدخت دوخة شديدة جلست على إثرها على الكرسي ووضعت رأسي على ترابيزة المكتب وفقدت الوعي تدريجياً، ثم استيقظت صباحاً ورأسي فوق ذراعاي المتشابكين على المكتب ولا أعرف هل ما كنت فيه حقيقة أم حلم!؟

انتهى

أحمد عبدالمنعم دياب

نبذة عن الكاتب

هو أحمد عبد المنعم دياب
كاتب ومفكر مصري
يعود نسبه إلى سلالة كوترومانيتش
آخر سلالة ملكية حكمت دولة البوسنة والهرسك
أتت عائلته إلى مصر ضمن جنود محمد علي باشا
لطرد الإحتلال الفرنسي من مصر
له عدة مؤلفات ، منها من طُبع ، ومنها في طريقه للطباعة

ما صدر للكاتب من مؤلفات

القراءة روح الحياة والذي لا يقرأ هو في الحقيقة إنسان ميّت

أحمد عبد المنعم دياب